دراسات

الحزب الوحيد في القرآن الكريم

الأستاذ محمد حسين يعقوب *

مدخل

يُعدّ الحزب الواحد، بمعنى «الوحيد»، تجديداً سياسياً في القرن العشرين، وقد استندت إليه الديكتاتوريات المعاصرة، في ألمانيا وإيطاليا في حقبة ما بين الحربين العالميتين، وكذلك الاتحاد السوفياتي، مع فوارق جوهرية، حتى ١٩٩٠. والحزب الوحيد، يتصف غالباً بالشمولية، على الرغم من وجود أحزاب ذات طبيعة شمولية في النّظام متعدد الأحزاب.

الحزب الوحيد يعتمد على «الصفوة» أو «النخبة» أو «الطليعة». إن صناعة «النخبة» أو اكتشافها ورعايتها هدف رئيس وآلية هامة في أداء الحزب الواحد، وتلك سمة رئيسة من سمات الحزب «الواحد» إضافة إلى طبيعته الشمولية، والتنظيم الصلب لمؤسساته الحزبية. حيث أن للانتساب والمشاركة في الحزب الشمولي آلية مختلفة، من حيث الاختيار والمراتب وطبيعة المشاركة والصفات الأيديولوجية التزاماً وسلوكاً، عن الأحزاب غير الشمولية.

والحزب الوحيد، واستناداً إلى طبيعته الشمولية، معاد للتعددية الحزبية في الغالب، كما أنه معادٍ للديمقراطية، بمعناها الليبرالي الغربي. لكن الأحزاب الشمولية قد تتبنى الديمقراطية وسيلةً من وسائل الاستيلاء على السلطة. والأمثلة عديدة في هذا المجال: من تجارب الحزب النازي في ألمانيا، والحزب الفاشي في إيطاليا، وفي الاتحاد السوفياتي حتىٰ عام ١٩٩٠، مع وجود فوارق جوهرية، وكذلك دول المنظومة الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية وحتى انهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩٠[1].

---

* كاتب من الأردن.

إن الحزب الشيوعي، مثلاً، وهو حزب شمولي، يعتمد على فلسفة شاملة متكاملة في تفسير مظاهر الكون والحياة وتاريخ الإنسان، ويقدم نظاماً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً متكاملاً، ويقدم ذرائع للحزب الواحد معتمداً على الإطار النظري العام لمفهوم الحزب الذي تبنّاه، وهو أن الحزب تعبير عن الطبقة، وأن الحزب الشيوعي هو تعبير عن طبقة البروليتاريا(العمال) وطليعتها، وهي تُعدُّ أحد طرفي الصراع الطبقي الذي سيؤدّي، في نهاية المطاف، إلى مجتمع «من دون طبقات»، وهو مجتمع يمثّله الحزب الواحد.

تمثّل كلٌّ من الفاشية والنازية مثلاً آخر على «الفلسفات» التي تبنّت موضوع إعتماد «الحزب الواحد»، وهي في الواقع ليست عقيدة أو فلسفة بقدر ما هي ملاحظات مبهمة، غامضة ومشوشة وخرافات وأهواء غير مترابطة، وهي تركز على سيادة اللامعقول والغريزة[٢].

هذه إشارات وملاحظات عن بعض التجارب الإنسانية الرئيسة عن «الحزب الواحد» وهي تؤكّد وجود فلسفة ما، وراء بنيان الحزب وإنشائه، إضافة إلى نقطة رئيسية أخرى وهي الاعتماد على «النُّخبة» أو «الصفوة» أو «الطليعة». هذه ملاحظات أولية ومحدودة عن «الحزب الواحد» في النظرية العامة للأحزاب السياسية في الفكر السياسي المعاصر.

موقف القرآن من «التعددية الحزبية»

القرآن، كما تبين لنا من استعراض النصوص القرآنية ذات العلاقة بمفهوم «التعددية الحزبية» يتناول تعددية «الأحزاب» بصفتها واقعاً موجوداً معاشاً متكرراً في التجربة الإنسانية سواء في تجارب الأمم السابقة للدعوة الإسلامية أو أثناء «البعثة النبوية» أو بعدها وفي أي زمن سابق أو لاحق. ولذلك فإن موقفه من «الأحزاب» مستمر ودائم.

تكرر مصطلح «الأحزاب» في القرآن (١١) إحدى عشر مرة في سبع سور مكية ومدنية وفي جميع المرات ارتبط مفهوم «الأحزاب» بالسلبية و «الشر» والرفض وعدم القبول ولم يرتبط هذا المفهوم أبداً، بالخير أو الإيجابية.

والإشارات القرآنية واضحة تصريحاً وتلميحاً وتلك سمات الأحزاب السلبية في النصوص القرآنية: ﴿**أولئك الأحزاب... إن كل إلا كذب الرسل**﴾ والمجادلة: ﴿...

بالباطل ليدحضوا به الحق. . .﴾ وسوء العاقبة: ﴿. . . إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب. . .﴾ ومصدر للتنافر والاختلاف: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا. . .﴾ و ﴿فَٱخْتَلَفَ الأحزابُ مِنْ بينهم فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا. . .﴾ والكفر بالقرآن أو إنكار بعضه: ﴿. . . ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده. . .﴾، ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه. .﴾ ونهاية محتومة لمعركة مستمرة طرفها الأحزاب: ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾.

القرآن في إشارته المتعددة، تصريحاً وتلميحاً يدين «التعددية الحزبية» بالمفهوم القرآني ولا يقر بشرعيتها ولكنه يقر بوجودها واعتراف القرآن بوجود «الأحزاب» هو اعتراف واقعي، ويبرز القرآن أن «الأحزاب» تميل إلى التوافق وتوحيد المواقف والأهداف لمحاربة أية دعوة جادة «للتوحيد» والتجانس حتى تبدو «الأحزاب» في بعض الحالات، غزوة الخندق مثلاً، وكأنها حزب واحد وتلك هي آليتها للانتقال من «التعددية الحزبية» إلى موقف الائتلاف الحزبي أو الإطار العام للحزب الواحد مع أنها أحزاب متعددة. . وفي ظل التعددية الحزبية يعتقد كل حزب بأنه يملك الحقيقة وحده وهو فَرِح بهذه الحقيقة ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ فتضيف «الأحزاب» بذلك تعددية أخرى هي تعددية الحقيقة. مع أن «الحقيقة» واحدة، التعددية الحزبية، تعني تعددية «المرجعيات»، تعددية «الآلهة» و «الأهواء»، تعددية «الحقائق». إنها «الاختلاف» و «التنافر»، وموقف القرآن منها: إقرار بوجودها وإدانة لهذا الوجود ورفض لشرعيتها.

حزبان في القرآن، لا ثالث لهما

النصوص القرآنية ذات العلاقة بموضوع الثنائية الحزبية تحدد بشكل قاطع تصريحاً وتلميحاً بأن البشرية تنتظم بالضرورة وبالواقع في حزبين لا ثالث لهما، «حزب الله» و «حزب الشيطان» وينطوي أفراد الجنس البشري تحت إحدى الرايتين «راية الحق» أو «راية الباطل» تلك حقيقة لا مراء فيها يمكن استخلاصها من النصوص القرآنية العديدة، إن هذه الحقيقة تفصح عن نفسها في كل آيات القرآن الكريم، إن عملية الفرز والاستقطاب واضحة وبيّنة بين «حزب الله» و «حزب الشيطان» مع الأخذ بعين الاعتبار مراتب أعضاء «الحزبين» وملاحظة أن أعضاء «حزب الشيطان» لا يقرون تصريحاً ولا تلميحاً بعضوية هذه الحزب

لكن القرآن يبيِّن مواصفاتهم وصفاتهم، وقناعاتهم وسلوكهم وتصرفاتهم لينبيء عنهم فمن انطبقت عليه هذه المواصفات والصفات فهو عضو في «حزب الشيطان» بصرف النظر عن الاعتراف أو الإنكار لأن طلب «الانتساب» للحزب أو بطاقة الاشتراك فيه، قضية شكلية كما أن القرآن يفرد ويبيِّن صفات ومواصفات وسلوك يمكن قياسها والاستدلال منها عليهم بصرف النظر عن التصريحات والدعاوي. إن الذي يحدد عضوية شخص ما في أحد الحزبين ليس طلب انتساب أو بطاقة مشاركة أو إقرار إو إنكار بالعضوية أو عدمها. إن الذي يحدد «العضوية» في هذا الحزب أو ذاك هو مجموعة من «المواصفات» و «الصفات» يمكن رصدها وقياسها وبناءً على هذا القياس يمكن تحديد العضوية والمشاركة ومرتبتها. وهذه المواصفات ثابتة وقاطعة، ولكنها في مدلول قياسها متغيرة من شخص إلى آخر، ومن فئة إلى أخرى وهي متغيرة من حيث الزمان بالنسبة لشخص محدَّد وحسب قناعاته ومفاهيمه وسلوكه وتصرفاته ومدى انطباقها أو اقترابها أو ابتعادها عن المواصفات والمقاييس الثابتة.

تلك مقدمة نظرية عن الثنائية الحزبية في القرآن، طريقان لا ثالث لهما. وحزبان لا ثالث لهما، «حزب الله» و «حزب الشيطان».

«حزب الله» هو الحزب الواحد في القرآن

إن «الثنائية الحزبية» في القرآن ثنائية واقعية، بمعنى أنها تصف أمراً واقعاً، وهي تعبير عن الواقعية السياسية، وليست تعبيراً عن «الشرعية» و«المشروعية» لهذه الثنائية. ذلك لأن النصوص القرآنية تعطي «الشرعية» «لحزب وحيد»، «واحد»، هو «حزب الله»، وهي تكرِّس وجود هذا الحزب وشرعيته، ولا تقر ولا تعترف بـ«التعددية الحزبية» إطار عمل في النظام الإسلامي (المجتمع والدولة). والنصوص القرآنية تظهر العداء والمواجهة جهاراً نهاراً ضد «حزب الشيطان» في نمط الثنائية الحزبية، وعداءً صريحاً لنشأته الأولى وأهدافه وغاية وجوده، وهي غواية الإنسان ودعوته إلى الانحراف عن الطريق المستقيم وعن المرجعية الإلهية الواحدة. وتدين النصوص القرآنية، كذلك، آليات «حزب الشيطان» المتمثِّلة في «تزيين» العمل السيء ليراه صاحبه حسناً، وتدين آلية الخلط بين «الحق» و«الباطل» ليلتبس الأمر على الناس تحقيقاً لانعدام الرؤية الواضحة.

إن الافتراض الرئيس، في هذه الدراسة، هو أن النصوص القرآنية، تتبنّى «نظرية الحزب الواحد» وتتناول النموذج والإطار من خلال بيان «القيادة» من خلال توصيف «حزب الله» عقيدة وسلوكاً، نظرية وتطبيقاً، واستقطاباً قيادةً وأتباعاً، وإبراز «مواصفات» و«عناصر توصيف» هذا الحزب، وصفات أعضائه على اعتبار أنهم «الصفوة» أو «النُّخبة».

ورد مصطلح «حزب الله» في القرآن الكريم[٣] ثلاث مرات في سورتيّ «المائدة» و«المجادلة»، وقد ورد هذا المصطلح في سياق عام مرتبط مع «الولاية»[٤].

وسوف نستعرض، في هذا المقام، الآيات القرآنية التي ورد ذكر مصطلح «حزب الله» في سياقها لاستخلاص «نظرية الحزب الواحد» في القرآن، أو نظرة القرآن إلى «الحزب الواحد».

أما موضوع تطبيق هذه النظرية، أو اكتشاف عناصر المزاوجة والمطابقة، وآليات التطبيق، بين الإطار النظري للنصوص القرآنية وبين التطبيق والممارسة العملية لمضمون هذا الإطار، وكذلك البحث لمعرفة مدى انطباق الممارسة العملية وانسجامها أو اقترابها أو ابتعادها عن النموذج القرآني «للحزب الواحد»، إن هذا الموضوع، قد يكون، بحاجة إلى بحث مستقل يكون أكثر شمولاً وأعمق تأطيراً وأكثر إصراراً على استخلاص نتائج موضوعية من المقارنة بين الحقائق القرآنية بوصفها إطاراً نظرياً وبين التطبيق العملي لهذا الإطار على الواقع والممارسة العملية، لمفردات هذا الإطار.

النصوص القرآنية

ورد مصطلح «حزب الله» ـ كما أشرنا ـ ثلاث مرات في القرآن الكريم، في سورتين مدنيّتين هما سورة «المائدة» وسورة «المجادلة»، في سياق الآيات القرآنية التالية:

١ ـ **﴿يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا لا تتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَصارَى أولياءَ بعضٍ ومَن يتولَّهم مِنكُم فإنَّه مِنْهُم إنَّ اللهَ لا يَهدى القومَ الظَّالمين﴾**.

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا من يرتدَّ مُنكُم عن دينهِ فسوف يأتى اللهُ بقوم يحبُّهُمْ ويحبُّونَهُ أذلَّةٍ على المؤمنينَ أعِزَّةٍ على الكافرينَ يجاهدُون في سبيلِ اللهِ ولا يخافون لَومةَ لائم ذلك فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَن يشاءُ واللهُ واسع عليم * إنَّما وليُّكم اللهُ ورسولُهُ والذين آمنُوا الذينَ يُقِيمُونَ الصلاةَ ويُؤتونَ الزكاةَ وهم راكعون * ومَن يتولَّ اللهَ ورسولَه والذين آمنوا فإن حزبَ اللهِ هم

الغالبونَ * يا أيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا الذينَ اتخذُوا دينكُم هُزُواً ولَعِباً منَ الذينَ أوتوا الكتابَ من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كُنتُمْ مؤمنينَ﴾ [المائدة/ ٥١ و٥٤ ـ ٥٧].

٢ ـ ﴿ألَمْ تَرَ إلى ٱلذينَ تَوَلّوا قوماً غَضِبَ اللهُ عليهم مّا هُم مّنكُمْ ولا مِنهُم ويَحْلِفُونَ على الكَذِبِ وهم يعلمونَ﴾ ﴿إن الذين يحادّون اللهَ ورسولَهُ أولئك في الأذلينَ﴾ ﴿لا تجدُ قوماً يؤمنونَ باللهِ واليوم الآخرِ يوادّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كانُوا آباءَهُمْ أو أبناءَهُمْ أو إخوانَهُم أو عَشِيرَتَهُم أولئِكَ كَتَبَ في قُلُوبِهِم الإيمانَ وأيَّدهُم بروح منه ويُدخلِهُم جنَّاتٍ تجرى من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها رضيَ اللهُ عنهُم ورضوا عَنهُ أولئكَ حزبُ اللهِ ألا إنَّ حزبَ اللهِ هُمُ المُفلحونَ﴾ [المجادلة/ ١٤ و٢٠ و٢٢].

تلك هي الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر مصطلح «حزب الله» ولم يرد ذكره في غيرها من آي القرآن، وهذه الآيات من القرآن «المدني» الذي أنزل في المدينة المنوّرة بعد الهجرة وإبان تشكل النظام الإسلامي (المجتمع والدولة).

استخلاص الحقائق والنتائج والخلاصات

الآيات القرآنية من سورتيّ «المائدة» و«المجادلة»، المشار إليها آنفاً، تُفصح بإعجازها القرآني، ووضوحها الذاتي عن مضمونها ومحتواها ودلالاتها.

إن النظرة المتأملة والمتأنية والمتدبِّرة وإمعان الفكر المستنير تحليلاً ومقارنة واستقصاءً ومقاربة، وكذلك الإطلاع المتبصِّر على التفاسير المتعددة للقرآن، قديمها والحديث منها تجعل استخلاص الحقائق والنتائج والخلاصات ذات العلاقة المباشرة بمصطلح «حزب الله» أمراً ميسوراً. وهي حقائق ونتائج وخلاصات قائمة على الجزم واليقين لكل مؤمن بأن النصوص القرآنية قائمة على الجزم واليقين. ولغايات منهجية، فسيتم تأطير الحقائق والنتائج والخلاصات المستقاة من هذه النصوص القرآنية في ثلاثة عناوين رئيسة تمثل في مجموعها النظرية القرآنية «للحزب الواحد»، أو النظرة القرآنية «للحزب الواحد»، وهذه العناوين هي:

(١) قيادة «حزب الله»، الولاية والموالاة.

(٢) عضوية «حزب الله» الصفوة، أو «النخبة»: الصفات وعناصر التوصيف.

(٣) الصراع بين «حزب الله» و«حزب الشيطان»، طبيعة الصراع ونتائجه.

قيادة «حزب الله» الولاية «والموالاة»

إن النصوص القرآنية، التي ورد ذكر مصطلح «حزب الله» في سياقها تظهر ربطاً تاماً ومحكماً لا انفصام فيه بين «حزب الله» ومصطلح «الولاية»، بمعنى القيادة والمرجعية، ومصطلح «الموالاة»، بمعنى الولاء والانتماء والالتزام.

إن مصطلح «الولي» و«الولاية» يعني القيادة والرئاسة والإمارة والمرجعية قولاً واحداً لغة واصطلاحاً. كما أن مصطلح «الموالاة» و«التولّي» يعني الالتزام والقبول التام والانتماء من قبل «الأعضاء» أو «الأتباع» لتلك القيادة، وتصديق تلك «المرجعية».

ومن هذا المنظور، وتلك الرؤية، يصبح «الولي» و«الولاية» وكذلك «الموالاة» والولاء العنصر الأكثر أهمية في منظومة «الحزب»، وهي بالنسبة لحزب الله حجر الزاوية والأساس: «قيادة» و«أتباعاً»، عقيدةً وسلوكاً وأداءً وتواصلاً وانتظاماً وتنظيماً. إن الأمر يتعلّق بشرعية «القيادة» ومشروعيتها وبناء «النُّخبة» أو الصفوة وولائها الأمر الذي يعدّ الحلقة الداخلية الأساس لأي حزب.

إن النصوص القرآنية، ذات العلاقة بموضوع الولاية والموالاة، يوضح وجود «ولايتين» و«ولائين»، بمعنى نوعين من «الولاية» ونوعين من الولاء و«الموالاة».

«ولاية» شرعية ومشروعة تشكّل القيادة والمرجعية لأعضائها أو أتباعها، وولاءٌ و«موالاة»، مشروعة وشرعية من قبل هؤلاء «الأعضاء» أو الأتباع لتلك القيادة والمرجعية وقبول تام والتزام مطلق بها. والقيادة والأتباع هنا يصدرون عن حقائق إيمانية. و«ولاية» أخرى غير مشروعة، باطلة، ومرفوضة، ومدانة، متعدِّدة المرجعيات والقيادات. وولاء «وموالاة» لها باطلة، وغير مشروعة، مرفوضة، ومدانة، بصرف النظر عن المسوّغات والتفسيرات.

إن مرجعنا الوحيد لتبيان ذلك وإيضاحه هو النصوص القرآنية فقط، من خلال التحليل والاستقصاء والاستنتاج وذلك تلافياً للخوض في تفصيلات الخلاف والاختلافات المذهبية... وتجنّباً لتبنّي مواقف مسبقة تهدف إلى دعم رأي معين وتأييده، أو نقض رأي آخر يعارضه أو إضعافه.

● الأستاذ محمد حسين يعقوب

«الولاية» و«الموالاة» غير المشروعة

النصوص القرآنية:

١ ـ ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا عَدوّي وعدوَّكُم أولياءَ تلقُونَ إليهِم بالمَوَدَّةِ وقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِّنَ الحَقِّ يُخرِجُونَ الرَّسُولَ وإيّاكُم أنْ تؤمِنُوا باللهِ ربِّكم إن كُنتُم خَرَجْتُمْ جِهاداً في سبيلي وابْتِغاءَ مَرْضاتي تُسِرُّونَ إليهم بالمَوَدَّةِ وأنا أعْلَمُ بما أخفيتُم وما أعلَنتُم ومن يفعله منكم فقد ضلَّ سواء السبيل﴾ [الممتحنة/ ١].

٢ ـ ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تَتَّخذُوا آباءَكُم وإخوانَكُم أولياءَ إنِ استَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى الإيمانِ ومَنْ يَتَوَلَّهُم منكُم فأولئكَ هُمُ الظالمونَ﴾ [التوبة/ ٢٣].

٣ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [المائدة/ ٥١].

٤ ـ ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة/ ٩].

٥ ـ ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإنَّ العزة لله جميعاً﴾ [النساء/ ١٣٨ و١٣٩].

٧ ـ ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . . .﴾ [سورة المجادلة/ ٢٢].

الموالاة هي الحدّ الفاصل

هذه النصوص القرآنية، جميعها على نسق واحد، محتوى ودلالةً ومضموناً ومعنىً ولفظاً، يسند بعضها بعضاً، ويؤكّد بعضها بعضاً، مرةً تلو أخرى، وصورة وراء صورة، ويقيناً يشدُّ يقيناً بأن «موالاة» اليهود و/ أو للنصارى، و/ أو الكفار، أو الإقرار بولايتهم، هو بمثابة الدخول في ملّة اليهود أو النصارى أو الكفار، وأن التقرّب إليهم بالمودّة والانتماء والولاء هو تخل عن الإيمان بالله واليوم الآخر، وهو بمثابة الارتداد عن الإسلام عقيدةً ونظاماً وولاءً وانتماءً، بصرف النظر عن الحجج والذرائع، حتى لو كانوا أبناءهم أو آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.

إن هذه النصوص ترتّب عملية فرز قاطعة وآلية استقطاب حادّة بيّنة المعالم ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾. والموالاة في هذه النصوص متدرّجة في مستواها فهي قد تعني، الانتماء والولاء والالتزام والإنصياع، والاتباع، والتبعية والتابعية، وقد تعني السعي تقرّباً وتحبّباً ومودة ومساندة ومناصرة قولاً أو عملاً ظاهراً أو باطناً، ومن يفعل ذلك، فقد ﴿ضلّ سواء السبيل﴾ وهو من «الظالمين». إن «الموالاة» واختيار «الولاية» عملية فرز واستقطاب نهائية بين «حزب الله» و «حزب الشيطان». إن الأمر الإلهي القاطع والمتكرّر والملزِم الذي توضحه النصوص القرآنية، لم يأتِ من فراغ وليس عملية انتقائية فوقية مفروضة، على إعتبار أنّ هذه «الولاية» وهذه «الموالاة» مرفوضة ومُدانة. بل إن رفضها وإدانتها وعدم شرعيتها هو لأسباب بيّنة واضحة معلومة، ذاتية الوضوح عقلاً ونقلاً، ومشاهدةً نظرية وممارسةً. وهي قبل ذلك وبعده حقائق واستنتاجات يقينية بنص القرآن الذي ينطق بها نطقاً فصيحاً بيّناً واضحاً لا لبس فيه، ولا غموض.

﴿لا تتخذوا عدوي وعدوّكم أولياء﴾ ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾ ﴿لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الأيمان﴾ ﴿ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم ﴾ ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . . ﴾.

والموالاة، في معنى آخر من معانيها، تعني التناصر والتناصح والتعاضد والتّواد والتعاطف والمجاملة. وهي بهذا المعنى آلية تنظيمية وآلية تواصل واتصال وتآلف. وهي مقياس انتماء وطريقة اختيار يثبت العضو من خلال أدائه اليومي مفهوم «الترابط العام» في التنظيم الذي ينتمي إليه. والولاء بهذا المعنى جزء من عملية التنظيم وتفاعل التنظيم وظواهره وطبيعة العضوية ومستوى المشاركة في هذا التنظيم. وينطبق هذا الاستنتاج على عضوية «حزب الله» وعضوية «حزب الشيطان» والنصوص والإشارات القرآنية التالية ذات علاقة بمفهوم «الترابط العام» في «حزب الشيطان» أو أحزابه.

﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾ [المائدة/ ٥١].

﴿. . . . والذين كفروا بعضهم أولياء بعض. . . ﴾ [الأنفال/ ٧٣].

﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ [الجاثية/ ١٩].

هذه «الموالاة» غير المشروعة و«الولاية» غير الشرعية هي بالمفهوم القرآني «ولاية» حزب الشيطان. وإن موالاتها موالاةٌ وانتماء وولاء لحزب الشيطان.

آفاق التواصل

وفي ختام هذا التحليل «للموالاة» و«الولاية» غير الشرعية بالمفهوم القرآني أرى نفسي ملزماً بالقول: إنّ النصوص القرآنية تعمّق وتثمّن التواصل الإنساني وتحث عليه وتظهره بأبرز صورة، وتقدّس العدل وتتبنّاه شريعة ومنهاجاً وعقيدة ومسلكاً وطريقة حياة. وإن النصوص القرآنية تضع إطاراً عاماً وتفصيلاً ملزماً للتواصل بين الناس والتّواد والتقارب بين البشر بصرف النظر عن اختلاف أعراقهم أو أجناسهم أو لغاتهم أو آرائهم ورؤاهم. ونظراً لأن المقام لا يتسع لتفصيل أكبر في هذا المجال فسأكتفي بالإشارة إلى النص القرآني توضيحاً وتدليلاً وبياناً:

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبَرُّوهم وتُقْسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدِّين وأخرجَوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تَوَلَّوهم ومن يتولَّهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة/ ٨ و٩].

النهي مقتصر على «الولاية» غير المشروعة وبيان لأسباب عدم الشرعية، ليكون الالتزام بالنهي صادر عن يقين إيماني واقتناع وتسليم وقبول بالأسباب في آن معاً.

وإذا كانت هذه هي «الموالاة» غير الشرعية، وهي «موالاة» مرفوضة ومُدانة بالمفهوم القرآني. فلمن «الولاية» إذن؟ ومن هو «الولي» الشرعي الذي تصبح «موالاته» شرعية؟

«الولاية» الشرعية و«الموالاة» المشروعة

لمن الولاية؟ ومن هو «الوليّ»؟ لمن «الولاء و«الموالاة»؟ من هي «القيادة» و«المرجعية» ولمن يكون الولاء والانتماء والالتزام؟

مرجعنا الأساس في هذا البحث: فرضياتِه واستنتاجاتِه، حقائقِه وخلاصاتِه هو النصوص القرآنية. إن الفرضية الأساسية في هذا الإطار هي أن النص القرآني للآيتين(٥٥) و(٥٦) من سورة المائدة يبيّن بجلاء ووضوح ذاتي قولاً واحداً لفظاً ومعنىً منظومة «حزب الله» «ولاية» و«موالاة»، قيادة وأعضاء، مرجعية وأتباعاً.

استعراض النص القرآني لآيتي «الولاية» و«الموالاة»

١ ـ ﴿**إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ [المائدة/ ٥٥]، وهي آية الولاية الشرعية.

٢ ـ ﴿**ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**﴾ [المائدة/ ٥٦]، وهي آية «الموالاة» المشروعة.

الآية الأولى تحدد «الولي» و«الولاية»، أي القيادة والمرجعية.

والآية الثانية تحدد «الموالاة» و«الولاء» والتزام الأعضاء بقيادتهم، وانتماء الأتباع إلى مرجعيتهم. وإذا تحقّق ذلك فإن النتيجة متحقّقة لا محالة، وهي نصر «لحزب الله» قيادةً واتباعاً.

تلك حقائق إيمانية قاطعة، واستنتاجات واضحة لا لبس فيها ولا مجال لاجتهاد أو مراجعة. لأن الحقائق الإيمانية لا تخضع لذات المراجعة أو المنهج أو المناهج التي تعتمد لاستخلاص الحقائق العلمية وطرائق إثباتها أو نفيها. فإذا توفر الإيمان في حقائق معيّنة فإن وسيلة الإثبات ذاتية، وإن لم يتوفر الإيمان فإن وسيلة النفي ذاتية أيضاً.

الآية الأولى/ القيادة والمرجعية «الولي» و«الولاية»:

﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ [المائدة/ ٥٥].

تفيد «إنما»، وهي الكلمة الأولى في هذه الآية، الحصر، حصر «الولاية» والقيادة والمرجعية في ثلاثة عناصر رئيسة، لا رابع لها ولا مجال لإدخال عناصر أخرى إليها. هذه العناصر الرئيسة الثلاثة تشكل معاً المرجعية والقيادة[٥]. ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا..**﴾.

إن ولاية الله ورسوله تعني المرجعية، وهي «القرآن والسنة» و«القرآن» كلام الله الذي لا يأتيه باطل أبداً وهو محفوظ في نصٍ قرآني لا يزيد ولا ينقص ولا يحرّف ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر/ ٩] و«السنة» هي ما صح عن الرسول الكريم من قول أو عمل أو إشارة أو تقرير، وتمثل قيادة الرسول الشخصية، أقواله وأفعاله، لأنه ﴿**وما ينطقُ**

عن الهوى * إنْ هُوَ إلا وحيٌ يُوحَى﴾ [النجم/ ٣ ـ ٤] بنص القرآن أيضاً. وبالتالي فإن مدلول لفظتي الله ورسوله في هذه الآية يعني، من حيث التطبيق، الأوامر والنواهي والتوجيهات قرآناً وسنة؛ عقيدة ومنهج حياة. وبهذا المعنى فإنها تعني العقيدة والعبادات والنظام الإسلامي كله، السياسي والاقتصادي والاجتماعي (المجتمع والدولة).

تلك خلاصات واستنتاجات وحقائق لا خلاف عليها ضمن هذا العموم.

والعنصر الثالث من «الولاية» هو مصطلح «الذين آمنوا» ما هو مدلوله؟

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا. . .﴾ ما معنى «والذين آمنوا. .»؟ في هذا السياق، ما هو المضمون والدلالة؟ لا بد لي، أولاً، وقبل الشروع في استنتاج المعنى والمضمون والدلالة واستخلاص العلاقة بين «الولي» وبين «. . والذين آمنوا. .» في آية «الولاية» من تسجيل الإشارات التالية التي تنطق بها آية الولاية؟.

١ ـ إن لفظة «وليكم» هي كلمة مفردة وردت للدلالة على «الولاية»، ولم ترد في القرآن لفظاً ومعنى إلا مرّة واحدة، وقد وردت في سياق مجموعة من الآيات السّابقة الموجّهة إلى «الذين آمنوا» تنهى بشكل قاطع وحازم ونهائي عن «موالاة» «الولاية» غير الشرعية التي أشرنا إليها سابقاً.

٢ ـ إن العناصر الثلاثة التي تشكل «الولاية» الشرعية، وهي «الله ورسوله والذين آمنوا. . .» لم ترد في القرآن الكريم مجتمعة هكذا إلا مرتين إحداهما في آية «الولاية» هذه والأخرى في آية «الموالاة» التي تليها.

٣ ـ إن مصطلح ﴿الذين آمنوا. . .﴾ ورد في القرآن (٢٥٠) مرة ولم يرد مقترناً مع لفظة «الله ورسوله» إلا في هذه الآية وفي الآية التي تليها. علماً بأن لفظ الجلالة «الله» قد ورد في القرآن (٩٨٠) مرة، كما أن لفظة «رسوله» وردت في القرآن (٨٤) مرة[٦].

٤ ـ إن مصطلح «الذين آمنوا» قد ورد في هذه الآية مقترناً بصفات ثلاث ظاهرة معاً وفي آن واحد. «أداء الزكاة أثناء الصلاة وفي حالة الركوع»، وتلك حالة وصف نادرة لم ترد في القرآن إلا في هذه الآية.

٥ ـ إن النصوص القرآنية، ذات الصلة، غالباً ما تقترن فيها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كأن هاتين العبادتين مقترنتان معاً، وقد ورد ذكر إيتاء الزكاة في القرآن(٣١) مرة لكن عبارة «. . . ويؤتون الزكاة وهم راكعون» هي نص متفرد فلا يوجد نص مماثل له في القرآن[٧].

إن هذه الملاحظات والإشارات والإيماءات، المتسقة، التي يسند بعضها بعضاً تؤكد معنًى واحداً هو أن دلالة مصطلح «الذين آمنوا. . .» الواردة في آية الولاية هي دلالة خاصة ومتميزة ومتفرّدة تختلف عن دلالة «الذين آمنوا. . .» أينما وردت في أي موقع آخر من القرآن الكريم. ومن أراد أن يتأكد من صحة هذا الاستنتاج فعليه أن يقارن مصطلح «الذين آمنوا. .» الوارد في الآية مع معنى «الذين آمنوا. . .» في المواقع الأخرى في القرآن الكريم، وهي (٢٥٠) موقعاً.

إن المراد من كلمة «وليّ»، معنىً واصطلاحاً، هو «ولاية» الأمر والإشراف وحق التصرُّف والزعامة والإمارة والقيادة المادية والمعنوية[٨].

فإذا كان الأمر كذلك، فإن السؤال المركزي يطرح نفسه مرة أخرى، مجدداً، من هو «الولي» ولمن «الولاية» ولمن الزعامة والقيادة؟ مرة أخرى نعود لاستكمال التفسير للوقوف على معنىً محدد لمصطلح «الذين آمنوا. .» الوارد في آية «الولاية».

إن القرآن الكريم لم يُنزّل دفعة واحدة، بل أنزل على «تؤدة ومهل» طوال البعثة النبوية الشريفة وعلى مدى ثلاثة وعشرين عاماً، وحسب المصالح والمناسبات والأحداث[٩].

لذلك فإن أسباب نزول الآيات القرآنية تُعَدُّ مصدراً هاماً من مصادر التفسير لأنها تربطها بالأحداث والمناسبات والقضايا والأحكام، فتسهل فهم مرامي النصوص القرآنية وغاياتها ومضمونها ومحتواها.

إن معظم تفاسير القرآن التي اعتمدها هذا البحث مرجعاً في تفسير النصوص القرآنية، قد أوردت في تناولها لتفسير هذه الآية، أنها نزلت بحق «علي بن أبي طالب» (عليه السلام)، عندما تصدَّق بخاتمه وهو راكع أثناء الصلاة، لسائل كان يسأل الناس الصدقة في المسجد النبوي في المدينة المنورة، بحضور الرسول الكريم وصحابته[١٠].

وقد أوردت هذه التفاسير تفاصيل الحادثة وربطت بها أسباب نزول الآيتين (٥٥، ٥٦) من سورة المائدة اللتين تناولتا موضوع «الولاية» و«الموالاة». وهناك مؤشِّر عام، في تفاسير القرآن الأخرى، التي لم تورد أسباب نزول الآيتين على النحو الذي أشرنا إليه، ذلك المؤشر العام هو أن هذه التفاسير لم تذكر أن هاتين الآيتين قد نزلتا بحق مجموعة أو شخص

آخر غير «علي بن أبي طالب» ومع ذلك فإن الخوض في تفصيلات «التفاسير» في ما يخص معنى ودلالة مصطلح ﴿الذين آمنوا. . .﴾ العنصر الثالث في «الولاية» ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ هي مهمة شاقة وعسيرة، لأن مدلول «الولاية» وتحديد من هو «الولي» هي قضية خلافية مفصلية ورئيسة عند الجماعات أو «الفرق الإسلامية» التي نشأت وتكاثرت وبادت أو سادت وتجددت حتى أصبحت بضعاً وسبعين فرقة كما يشير إلى ذلك الحديث النبوي الشريف «. . . وتفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة. .».

وفي موضوع الولاية «والولي» فإنه يمكن اختزال «الجماعات» «والفرق الإسلامية» العديدة إلى جماعتين مركزيتين. وكذلك اختزال الآراء والمفاهيم والنظريات والمقولات المتعلّقة بموضوع «الولاية» و«الولي» إلى نظريتين رئيستين:

إحداهما، نظرية المسلمين الشيعة الذين يعدّون أنفسهم «شيعة آل بيت النبوّة». ويؤمنون بأن الآيتين (٥٥ و٥٦) من سورة المائدة، نص قرآني محكم قطعي الدلالة، بما يسنده من أحاديث صحيحة على أن «الولاية» الشرعية هي «لعلي بن أبي طالب» وأنه هو «الولي» الشرعي بنص القرآن الكريم والحديث الشريف، وهم يسوقون الآيات القرآنية ذات الدلالة وعشرات الأحاديث النبوية من طريق رواتهم ورواة «أهل السنة» والموثّقة في بطون الكتب والمؤلّفات قديماً وحديثاً بنصوص قطعية متواترة تؤكّد الولاية الشرعية، للأئمة الإثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام)، أولهم أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وخاتمهم الإمام المهدي المنتظر. . .»[١١].

والنظرية الأخرى، رأي السنة، الذين يعدّون أنفسهم متمسكين بسنة النبي، عليه الصلاة والسلام، ونهجه ونهج جمهور أصحابه رضوان الله عليهم من بعده، وقبل ذلك، كتاب الله، القرآن الكريم. ويتراوح رأي السنة في موضوع «الولاية» و«الخلافة» و«ولاية الأمر» فقهاً وتشريعاً وتطبيقاً بين «نظرية الشورى» ونظرية «الأئمة من قريش»، وهو حديث نبوي، صحيح، رووته أمّهات كتب الحديث، وبين نظرية «الواقعية السياسية» المتمثّلة بحق «الخليفة، الحاكم» بتسمية ولي العهد من بعده. وينسحب هذا الرأي، المتمثّل في النظريات الثلاث، المشار إليها، على النظام السياسي الإسلامي الذي تم تطبيقه منذ خلافة «أبي بكر الصدّيق» بعد «شورى» سقيفة بني ساعدة، في المدينة المنورة، غداةَ وفاة الرسول الكريم، مروراً «بالخلافة الراشدة» و«خلفاء بني أمية» «وخلفاء بني العباس» «وسلاطين»

الدولة العثمانية حيث انتهت «الخلافة» بانتهاء حكم آخر سلاطينهم، حسب رأي جمهور أهل السنة، في مطلع القرن العشرين وتحديداً عام ١٩٢٣م[١٢].

وبعد، فالحقيقة إن النظام السياسي في الإسلام، كما يرويه التاريخ، في الغالب الأعم، هو تعبير عن الواقعية السياسية، وهو سجل لتاريخ النظام السياسي، ومحاولات لتطبيق النظام السياسي الإسلامي الذي يعتبر فترة ولاية الرسول الكريم لأمر المسلمين، هي نموذجه الأمثل، والمثال الذي يُمثل النظام السياسي في الإسلام، فعلاً، وبالتالي فإن التاريخ السياسي للنظام الإسلامي هو تعبير عن «الواقعيّة السياسية» وليس تعبيراً عن «الولاية» الشرعية بصرف النظر عن اقتراب «الخلفاء» أو «الحكّام» أو ابتعادهم من تطبيق النظام السياسي في الإسلام كما طبّق أيام «مرحلة النبوّة».

إن أبرز تعبير عن «الواقعية السياسية» في التاريخ السياسي للنظام الإسلامي هي المقولة المشهورة للصحابي «عبدالله بن عمر»، على إثر موقعة الحَرّة سنة ٦٣هـ، والتي سيطر بعدها «الأمويون» على المدينة المنورة[١٣]، تلك المقولة التي أصبحت تعبيراً صادقاً عن واقع «الولاية» و«الموالاة» وهي: «نحن مع من غَلَبْ»[١٤]...! وغني عن البيان والإيضاح أنها مناقضةٌ تماماً لمقولة: «نحن مع الولاية الشرعية».

إن الخلاف في موضوع «الولاية» و«المرجعية» و«الإمارة» هو الإختلاف بين «الواقعية السياسية» وبين الشرعية. وهو خلاف قديم متأصّل، وجديد معاصر، وليس في مقدور هذا البحث أن يحسمه ولا أن يقدم فيه أكثر مما تقدم.

الآية الثانية: «الموالاة» أو الولاء.

في الآية الأولى، حصر «للولاية» والقيادة المرجعية ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...**﴾ وفي الآية الثانية بيانٌ قاطع للدلالة على أعضاء «حزب الله» وأتباعه، وهم: ﴿**ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**﴾. [المائدة/٥٦]، يقدّم هؤلاء «ولاء» لله ورسوله و«الذين آمنوا...» قاطعاً مانعاً نهائياً ظاهراً وباطناً قولاً وعملاً مغايراً «للموالاة» غير المشروعة.

وهل يمكن التعرّف على أعضاء حزب الله بالموالاة فقط، «موالاة» «الولاية الشرعية»؟ وهل هناك صفات محدَّدة لهم وعناصر توصيف، قابلة للقياس والمطابقة؟

الحقيقة أن موالاة «الولاية الشرعية» والانتماء لها هي أكثر مواصفات أعضاء «حزب الله» وضوحاً وهي آلية الفرز الحادَّة والقاطعة. . . وهي الصفة الأكثر قرباً والتصاقاً بحزب الله ﴿ومن يتولّ الله ورسوله فإن حزب الله هم الغالبون﴾ لكن هناك صفات وعناصر توصيف لأعضاء حزب الله سنعرض لها تفصيلاً في عنوان لاحق، لأن معرفة هذه الصفات وتحديدها عنصر أساس من عناصر بلورة مفهوم «حزب الله» في القرآن.

«الولاية» و«الموالاة» في الحديث النبوي الشريف

إن الباحث والمنقِّب والمتتبِّع يجد هذين المصطلحين «الولاية والولي» و«الموالاة» في عشرات الأحاديث النبوية الشريفة، بصيغ متعددة، ومن طريق روايات مختلفة في العديد من أُمَّهات كتب الحديث، كلّها تشير إلى «علي بن أبي طالب» (عليه السلام). وتربط هذين المصطلحين به بشكل أو بآخر. إن هذا البحث، وهو يسجِّل تحت هذا العنوان الفرعي عدداً محدوداً من هذه الأحاديث، يهدف، بالدرجة الأولى، إلى إبراز العلاقة بين مفهوم «الولاية» و«الموالاة» الوارد في النصوص القرآنية وبين مفهوم هذين المصطلحين في نصوص الأحاديث النبوية الشريفة.

١ ـ قال النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) مخاطباً علياً بن أبي طالب: «أنت ولي كل مؤمن بعدي»[١٥].

٢ ـ وقال: «إن لِعَلي أكثر من الجارية التي أخذ، إنه وليكم من بعدي»[١٦].

٣ ـ وقال: «علي منّي وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي»[١٧].

٤ ـ وقال، في حديث «غدير خُم» المشهور: «. . . من كنت وليه فهذا علي وليه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»، وفي رواية أخرى: «من كان الله ورسوله وليّه فهذا علي وليّه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه». وفي رواية أخرى: «يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا ولي المؤمين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا (يعني علياً) مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»[١٨].

وصيغ أخرى عديدة وروايات أخرى تتحدث عن الموضوع نفسه، «الولي» و«الولاية» و«الموالاة» وعن الإمام «علي بن أبي طالب» (عليه السلام). ولم تذكر الأحاديث أحداً غيره، في هذا المجال. وإذا كانت «الولاية» هي الإمارة والقيادة والتصرف

بالأمر، فإن قضية الخلاف في هذا الموضوع لا تزال قائمة رغم وضوح الأحاديث النبوية الشريفة، لأن مفهوم «الولاية» الشرعية ليس مفهوماً واحداً عند المسلمين بل تعدَّدت فيه الآراء والنظريات وقد تعرضنا لها في إشارة سابقة من هذه الدِّراسة. وأن الدخول في تفصيلاتها هو خارج إطار هذا البحث.

إن النظرة المتأنِّية في هذه «الأحاديث» تبيِّن التطابق التام بين مصطلح «الولاية» و«الموالاه» في النصوص القرآنية وفي الأحاديث النبوية وترتبط هذه «الأحاديث» ربطاً محكماً، لفظاً ومعنىً ومحتوىً ومضموناً، بآيتيّ «الولاية» و«الموالاة»، وهما الآيتان (٥٥ و٥٦) من سورة المائدة، وتلك القضية بحاجة إلى مزيد من البحث والاستقصاء والتحليل والتأطير.

«الصفوة» أو «النخبة» في «حزب الله»

النصوص القرآنية، الآيات القرآنية التي وردت في السياق العام الملازم لمصطلح «حزب الله».

١ ـ ﴿يا أيها الذينَ آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارى أولياءَ بعضُهُم أولياءُ بعضٍ ومَنْ يتولَّهُم مِّنكُم فإنّه منهم إنَّ اللهَ لا يهدي القومَ الظالمينَ﴾ [المائدة/ ٥١] ﴿يا أيها الذين آمنوا مَنْ يرتد منكُمْ عن دِينِه فسوفَ يأتي اللهُ بقومٍ يُحبُّهم ويحبونه أذلَّةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة/ ٥٤ ـ ٥٦].

٢ ـ ﴿ألم تَرَ إلى الذين تولَّوا قوماً غَضِبَ اللهُ عليهم مّا هُم منكُم ولا منهم ويَحلِفُون على الكذب وهم يعلمون﴾ [المجادلة/ ١٤] ﴿إن الذين يحادُّون الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾ [المجادلة/ ٢٠] ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بروح منه ويدخلهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة/ ٢٢].

«الصفات» وعناصر «التوصيف»

إن النصوص القرآنية، أعلاه تتضمن نوعين، أو مجموعتين، من «الصفات» و«المواصفات» هما:

صفات قابلة للمطابقة والقياس باعتماد مقاييس محسوسة عقلاً وموضوعاً وتخضع لمعايير القياس والتوصيف المادّية. وصفات أخرى لا نستطيع إخضاعها للقياس والمطابقة لأنها تعتمد على مقاييس غيبية ماورائية، والمقياس الأساس في هذه الصفات الغيبية هو «الإيمان». وسوف أورد هنا بعضاً من هذه «الصفات» كما وردت في النص القرآني: **﴿كتب في قلوبهم الإيمان أيدهم بروح منه... رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾**، مثل هذه الصفات لا يستطيع الباحث أن يضع لها مقاييس ومعايير يستطيع من خلالها أن يتعرف إلى أصحابها لأنها صفات تتعلق بعناصر غير منظورة، عناصر تعتمد «الإيمان» مقياساً لها ومعياراً.

أما «الصفات» وعناصر «التوصيف» الأخرى الواردة في سياق الآيات فتتناولها بشيء محدود من التفصيل، استيضاحاً وبياناً، للوقوف على مفردات هذه الصفات ومعايير قياسها وإشارات دلالاتها، لتكون مدخلاً لبناء مقياس متكامل للتعرف على أعضاء «حزب الله» من خلال استعراض صفاتهم القابلة للقياس والمطابقة والواردة في السياق العام الملازم والمتصل بمصطلح «حزب الله» الذي لم يرد في القرآن إلا في الآية(٥٦)، من سورة المائدة، والآية(٢٢) من سورة المجادلة.

١ ـ أولى هذه الصفات وأهمها، وهي المحور الأساسي في بناء النخبة أو الصفوة، هي موالاتهم «للولاية الشرعية» ورفضهم لـ«الولاية غير المشروعة» وإدانتهم وابتعادهم عنها بمختلف وجوهها وأصنافها. وتلك صفة واضحة وبيّنة أوسعناها شرحاً وتحليلاً واستقصاءً تحت عناوين «الولاية» و«الموالاة» الشرعية، وغير المشروعة. **﴿ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾** موالاة، الولاية الشرعية.

٢ ـ «قوم يحبهم الله ويحبونه» كيف تعرفهم، ومن يدلنا عليهم؟ مرة أخرى النصوص القرآنية حدَّدت بالتفصيل صفات الذين «يحبّهم الله» وصفات الذين «لا يحبهم الله»، وهذا ميزان إيجابي وسلبي في آن، وهو مقياس واضح ومحدَّد، بالمحبة الإيجابية «والله يحب...» والمحبة السلبية «والله لا يحب...».

وردت عبارة «... الله يحب...» في القرآن سبع عشر مرة، وهو «يُحب، المحسنين والتوابين، والمتطهرين والمتقين والمقسطين... والصابرين»[١٩].

كما وردت عبارة «... الله يحب...» في القرآن ثلاثاً وعشرين مرة، فالله «لا يحب المعتدين.. والظالمين.. والمفسدين والمسرفين.. ولا يحب الفساد والمفسدين..»[٢٠].

٣ ـ وهم **﴿أذلةٍ على المؤمنينَ أعزةٍ على الكافرين﴾** [المائدة/ ٥٤]. إنهم أشداء غلاظ على الكفار، رحماء متعاطفون مع المؤمنين. **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بهم...﴾** [الفتح/ ١٤]. وتلك الصفة بالغة الوضوح ولتلك الصّفة جناحان: الشدة والغلظة، والعزة من جهة والذلّة والرحمة والتعاطف والتحاب من جهة أخرى.

٤ ـ هم «يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم..» وقد وردت كلمة «الجهاد» ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرّة. إلا أن عبارة «يجاهدون في سبيل الله» بمعنى الصفة والممارسة الفعلية حاضراً أو مستقبلاً لم ترد في القرآن إلا في هذه الآية، الأمر الذي ينبيء بأن «الجهاد» صفة ذاتية ومستمرة بمعنى الحاضر والمستقبل، وهي تختلف عن عبارة «جاهدوا في سبيل الله...»، وتختلف عن عبارة، تجاهدون في سبيل الله» التي تعني التوجيه والإرشاد.

إن عبارة «يجاهدون..» صفةٌ ذاتية مستمرة غير مرتبطة بزمان أو حالة معينة، إنها تعني آلية تلقائية، وهي جزء من الحياة والممارسة المستمرة. وما ينطبق على عبارة «يجاهدون» ينطبق على عبارة «ولايخافون» التي تعني الحاضر والمستقبل وتعني آلية ممارسة تلقائية بقناعة ذاتية، بصرف النظر عن ردود الفعل، سلبية أم إيجابية.

٥ ـ وهم «لا وادّون من حادّ الله ورسوله..» ولا يتقربون له بالمحبة والمودّة والتعاطف أو المجاملة. بل يعلنون معاداتهم لمن يحارب الله ورسوله... لأن ولاءهم موالاتهم لله ورسوله هي الموالاة الحقيقية، وهي أسبق من موالاة القرابة أو المنفعة، يرفضون التقرب لمن يعادي الله ورسوله **﴿ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم...﴾** المبدأ هو الذي يحدّد درجة الاتصال والقرب، وبالتالي الولاء والموالاة للولاية الشرعية التي تعدّ أساس الإنتماء «لحزب الله».

وصفات أخرى، وعناصر توصيف، تزخر بها الآيات القرآنية. إن الصفات التي استعرضناها من خلال استعراض النص القرآني الوارد في سياق الآيات التي ورد فيها ذكر مصطلح «حزب الله»، هي صفات يتميز بها أعضاء «حزب الله» وليست جميع صفاتهم. وهي صفات تبين أن أعضاء حزب الله هم «صفوة» و«نخبة» إيمانية وسلوكية. وأن هذه الصفات والمواصفات المتميزة لا تتوفر جُزافاً في أعضاء أي مجتمع أو تجمّع أو جماعة أو فئة أو حزب. . . إن هذه الصفات والمواصفات، وكما يتّضح من النصوص القرآنية صفات تتفرّد بها «النخبة» أو «الصفوة». ونحن نجد تحديداً أو التزاماً بالمقاييس الوضعيّة بضرورة تفرّد «النخبة» في الحزب الواحد بصفاتٍ محدودة متميزة عن صفات الآخرين أعضاء المجتمع. فإذا كان ذلك «من مميزات» «النخبة» في الأحزاب السياسية المعاصرة، والتي يعتبر «الحزب الوحيد» نمطاً حزبياً يعتمد على «النخبة» في الأداء نموذجاً ومثالاً وقدوة. سواء كانت نخبة اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو نخبة سياسية. فإننا نلمس ذات التمايز والتفرّد في الصفات في «صفوة» أو «نخبة» الحزب الواحد في القرآن الكريم، وهي نخبة و«صفوة» إيمانية سلوكية، وهي قدوة ومثال وانموذج. إنها «الصفوة» في «حزب الله» الذي تعطيه النصوص القرآنية المشروعيّة والشرعية، شريطة أن تكون «ولايته» شرعية وموالاته مشروعة، و«صفوته» نخبة إيمانية ملتزمة، تتوفر فيها الصفات وعناصر التوصيف الملازمة «لحزب الله» عقيدة وسلوكاً وأداء تلك «الصفات» و«المواصفات» التي يمكن أن تشكّل آلية واضحة وطريقة قابلة لأن توضع موضع التجريب والاختبار.

الصراع بين «حزب الله» وحزب الشيطان

إن هذا العنوان يتناول بحثاً واستقصاءً واستقراءً لطبيعة الصراع بين «حزب الله» و«حزب الشيطان» ولمحاور هذا الصراع ونتائجه، ذلك الصراع الذي بدأ بين الشيطان والإنسان، منذ أن خلق الله الإنسان، ورفض إبليس السجود له، استكباراً واستعلاءً، معلناً عداوته «لآدم» مبدياً قناعته بقدرته على الغواية، واثقاً من استجابة الإنسان للغواية والانحراف عن «الصراط المستقيم» ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [ص/ ٨١، ٨٢].

طبيعة الصراع ومحاوره

إن حزب الله هو «الحزب الوحيد» المشروع في منظور القرآن الكريم، ولكنّه ليس «الحزب الوحيد» من حيث الوجود والواقع والممارسة، بصرف النظر عن طبيعة هذه الممارسة، ظاهرة كانت أم مستترة، معلنة أم متخفية، ضعيفة أم قوية، تلك الممارسة التي تمليها طبيعة الظروف المتغيّرة. والنصوص القرآنية تناولت «الأحزاب» وتناولت «حزب الشيطان» بل تعترف بوجودها اعترافاً واقعياً، لكن النصوص القرآنية لا تمنح «الشرعية» أو «المشروعية» لهذه «الأحزاب» أو «لحزب الشيطان» الذي يعدّ مظلتها الرئيسة. وبالتالي فإن «حزب الله» هو «الحزب الوحيد» المشروع في المنظور القرآني للأحزاب.

و«حزب الله»، في منظور القرآن الكريم، هو «حزب شمولي» بالمفهوم المعاصر لهذا الإصطلاح. وفي إطار «المرجعية» والمنهاج و«الشريعة» تنظم علاقة الإنسان بنفسه وعلاقته بالإنسان أيّاً كان، وعلاقة الإنسان بالموجودات وبالحياة والكون، وقبل هذا وبعده، علاقة الإنسان بالله. وتنظّمُ أفعال الإنسان وأقواله وحتى نواياه من خلال برامج تفصيلية دقيقة في إطار منظومة «الأوامر والنواهي» ومساحات «الحلال والحرام والمُباح والمندوب والمكروه» من كل تصرف يصدر عن الإنسان قولاً وعملاً.

و«حزب الله»، بهذا المعنى، «حزب شمولي» ينتظم حياة «المنتسب» أو «المشارك» كلّها، في إطاره الشمولي، طالما توفرت في المشارك «شروط الأهلية». وحزب الله، في إطار المنظور القرآني، واستجابة للعقيدة الإيمانية يعتبر شرعته ومنهاجه وبرنامجه تمثّل «صراطاً مستقيماً» لا يحيد عنه وفي هذا المجال فإن كلمة «مستقيم» وردت في القرآن في سبعة وثلاثين موضعاً [٢١].

في ثلاثة وثلاثين موضعاً منها وردت كلمة «مستقيم» «وصفاً» للصراط، بمعنى الطريق أو المنهاج «الصراط المستقيم».

وفي موضعين منها وردت كلمة مستقيم وصفاً «للقسطاس»، بمعنى الميزان الذي يمثل «العدل» مادياً ومعنوياً. ومرة أخرى، وصفاً «للهدى» بمعنى التوجه والمسار ﴿**إنك لعلى هدى مستقيم**﴾ وفي موضع آخر وصفاً للطريق الذي هو الصراط والمنهاج ﴿. . . **يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم**﴾[٢٢].

والنصوص القرآنية، ذات العلاقة، تؤيد ما ذهبنا إليه في ما يخص اعتماد مصطلح «الصراط المستقيم» رمزاً للمسار والمنهج والمرجعية والشرعة التي يتبنّاها «حزب الله» حسب المفهوم القرآني.

١ ـ ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبلَ فَتَفَرَّقَ بكُم عن سَبِيْله. . .﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

٢ ـ ﴿وضربَ الله مثلاً رجلين أحدُهُما أبكَمُ لا يقدرُ على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجِّهه لا يأت بخيرٍ، هل يستوي هو ومن يأمُر بالعدل، وهو على صراط مستقيم﴾ [النحل/ ٧٦].

٣ ـ ﴿أفَمَنْ يمشي مُكِبّاً على وَجْهِه أهْدَىٰ أمَّن يَمْشي سويّاً على صراطٍ مُسْتَقيم﴾ [الملك/ ٢٢].

وعشرات الآيات القرآنية تسند بعضها بعضاً لتزيد المتدبّر والمتأمّل فيها يقيناً على يقين بأن الأصل هو «الصراط المستقيم» منهجاً وشرعة وطريقة حياة، وأن «الانحراف» عن هذا «الصراط» هو الجانب الآخر من الصراع بين «حزب الله» و«حزب الشيطان».

إن «حزب الشيطان»، وإن تعدَّدت مرجعياته وبرامجه وسبله وطرقه، هو حزب شمولي لأن حدة الاستقطاب في القضايا الرئيسة المطروحة عن الإنسان والكون والحياة تجعله نقيضاً «لحزب الله»، وأن طروحات الشيطان وغاياته وأهدافه ومراميه متناقضة تماماً قولاً واحداً مع شرعة «الصراط المستقيم» ومنهاجه. وآلياته لتحقيق ذلك هي «الغواية» و«الوسوسة» وتأليه «الهوى» و«تزيين» العمل والقول السيء ليراه صاحبه «حسناً» وإصراره الدائب على الدعوة بمختلف الوسائل إلى الانحراف عن «الصراط المستقيم». وتظهر النصوص القرآنية التي توثّق مقولة «إبليس» هذا الإصرار والعناد على تبنّي الدعوة إلى «الانحراف».

﴿قال فَبِمَا أغويتني لأقْعُدَنَّ لهم صراطَك المُسْتقيم * ثم لآتينَّهم من بين أيْديهم ومن خلفِهم وعن أيْمَانهم وعن شَمَائِلِهم ولا تجدُ أكثرهم شاكرين﴾ [الأعراف/ ١٦، ١٧].

هذه حقائق قرآنية إيمانية واستخلاصات ذاتية الوضوح عن الصراع المستمر بين «حزب الله» و«حزب الشيطان» والأحزاب المتعدّدة المؤتلفة معه وتلك طبيعة الصراع

ومحاوره «الصراط المستقيم» والتمسك به عقيدةً ومسلكاً، قولاً وعملاً، هو منهج «حزب الله» وشرعته وبرنامجه. والدعوة إلى الانحراف عن «الصراط المستقيم»، غوايةً وتزييناً وغروراً، تحقّق هدف «الشيطان» بإثبات مقولته بأن الإنسان قابل للغواية مستجيب للانحراف عن «الصراط المستقيم» وفي كل «ثواب» أو «عقاب» وتلك نتيجة الاختيار أو ضريبته، وهي «استحقاق» الإنسان القادر على الاختيار، بصرف النظر عن سلبية «اختياره» أو إيجابيته.

نتائج الصراع، بين «حزب الله» و«حزب الشيطان»

قبل استعراض النصوص القرآنية ذات العلاقة، لا بدَّ من إعادة التذكير بأن الحقائق، التي تُستخلَص من استقراء النصوص القرآنية هي حقائق قائمة على الجزم واليقين، وينطبق ذلك، وبصورة قاطعة، على الحقائق المتعلّقة بنتائج الصراع بين «حزب الله» و«حزب الشيطان» و«الأحزاب» التي تنضوي تحت مظلته. إن يقينيّة هذه الحقائق تنبع من كونها حقائق «إيمانية» في الأساس. وإذا كان الأساس ثابتاً ويقينياً وراسخاً فإن ما يتفرّع عنه لا بدَّ من أن يكون يقيناً ومشبعاً بالجزم واليقين بصرف النظر عن الظواهر والمظاهر التي قد تَشي بخلاف ذلك في بعض الأحيان. إن هذه الملاحظة التذكيرية تبدو ضرورية، مع أنها تظهر، في وجه آخر، كأنها استباق لنتائج استقصاء النصوص القرآنية.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

النصوص القرآنية

إن النصوص القرآنية المتعلّقة بالموضوع، مباشرة، تتناول نتيجتين رئيستين، أولاهما نتيجة حسّية تحسم الصراع، وثانيتهما نتيجة غيبية(ما ورائية) تُظهر نتائج «الاختيار».

أ ـ النتيجة الحسية

١ ـ ﴿ومن يتولّ اللهَ ورسولَه والَّذين آمنوا فإنَّ حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة/ ٥٥].

٢ ـ ﴿اَستحوذ عليهم الشيطان فأنْسَاهم ذكرَ الله أولئك حزبُ الشَّيطان ألا إنَّ حزبَ الشيطان هم الخاسرون﴾ [المجادلة/ ١٩].

نتيجة قاطعة تظهرها النصوص القرآنية، وهي مرتبطة ارتباطاً مباشراً واضحاً لا لبس فيه ﴿إن حزب الله هم الغالبون﴾ و ﴿. . . إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ تجانس في اللفظ وعناصر التوكيد، نص نهائي وقاطع وجازم لا يقبل التأويل أو المراجعة، مبنىً أو معنىً أو محتوىً أو مضموناً، وتلك إضاءة إعجازية تزخر بها آي القرآن.

إن «الغلبة» لا تكون إلا نتيجة صراع أو عراك أو منازلة أو سباق. . . والصراع لا يكون إلا بين أطراف أو محاور أو فرقاء، وطبيعة الصراع ومحاوره واضحة بيّنة. وأطراف الصراع أكثر وضوحاً وبياناً، ونتيجة الصراع حقيقة إيمانية يقينية يؤمن بها «الذين آمنوا. . .» إيماناً راسخاً، لا يحول ولا يزول.

إن الصِّراع لا يكون إلاّ في «الحياة الدنيا» أو «الحياة الأولى»، والصراع مستمر وغير مرتبط بزمن أو أزمان وغير مرتبط بمكان أو أمكنة، إن الصراع مستمرٌ إلى أن يحسم حسماً نهائياً نتيجة «الغلبة» و«الخسارة» «هم الغالبون» و«. . . وهم الخاسرون». وغني عن البيان بأنه لا صراع بعد «الحياة الدنيا»، لا صراع في «الحياة الآخرة»، لأن الصراع فيها متوقف ومحسوم، لأن الشوط يكون قد وصل إلى نهايته. ترى هل الصراع، الدائر الآن، بين «حزب الله» و«حزب الشيطان» أو «أحزابه» هو صراع قائم وغير منظور؟ وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فمتى يحسم الصراع حسماً نهائياً؟ وهل يمكن أن يكون أيٌّ منّا داخلاً في الصراع أو مشاركاً فيه أو منظوياً تحت لواء أحد طرفيه بنحو أو بآخر، بعلم أو بغير علم؟ تساؤلات قد تبدو للوهلة الأولى، تصدر عن فلسفة ما ورائية، ميتافيزيقية، أو طوباوية، وقد تبدو لبعضهم، بعد رويّةٍ، تساؤلات مشروعة ضمن هذا السياق.

ب ـ النتيجة الغيبية (الماورائية)

١ ـ **﴿. . . أولئك كتبَ في قلوبهم الإيمانَ وأيَّدهم بروح منه ويُدْخلُهم جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئكَ حزب الله ألا إن حزب الله هم المُفْلَحون﴾** [المجادلة/ ٢٢].

٢ ـ **﴿إنَّ الشَّيطان لكم عدوٌّ فاتَّخذُوه عدوًّاً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السَّعير﴾** [فاطر/ ٦].

ينطق ظاهر النصوص القرآنية ومحتواها بنتيجة غيبية، ما ورائية، تتناول مفردات ذات ارتباط مباشر «بالغيب» غير المرئي وغير المحسوس، **﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾ ﴿أيدهم بروح منه﴾ ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ ﴿خالدين فيها﴾ ﴿رضي الله عنهم﴾ ﴿إن الشيطان لكم عدو﴾ ﴿يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾**. وهذه نتائج «غيبية» لكنها «يقينية» لمن يؤمن بالنصوص القرآنية. ولأنها كذلك، يصعب على الباحث الاستطراد في

بحثها لاستبيان تحققها أو معرفة كنهها أو استقصاء تفصيلاتها أو الولوج في «غيبها» من دون علم، لكن تأطير هذه النتيجة في هذا السياق يستلزم الإيضاح بأن تلك النتيجة ترتَّبت في الحياة الأخرى بناءً على «الاختيار» في الحياة الدنيا، «فحزب الله» هم «المفلحون» باختيارهم. ونتيجة هذا الاختيار «الجنَّة» والخلود فيها، و«حزب الشيطان» سيأخذ نتيجة «اختياره» بتلبية دعوة الشيطان، الذي ﴿**يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**﴾ ونتيجة «الاختيار» منسجمة مع نتيجة «الصراع» ومتوافقة معها. وهي قائمة على الجزم واليقين مثلها أيضاً. «فالجنة» نتيجة «اختيار» مسبق وكذلك، السعير، أو جهنم هي نتيجة اختيار مسبق أيضاً.

تلك الثنائية في النتائج وتلك الثنائية في «الاختيار» وتلك «الثنائية الحزبية» واقع لا يتجاهله القرآن، لكن الشرعية والمشروعة لحزب واحد «الحزب الوحيد» «حزب الله» استخلاصات ذاتية الوضوح من نصوص قرآنية هي البيان بذاته لا تحتاج لكبير عناء لاستخلاصها أو إيضاحها، ولا غرابة في ذلك فإن «الحق» سهل وميسور وواضح وبيّن كفلق الصبح، ولكن «الحق» سهل ممتنع لا يعطي قياده بصورة تلقائية، فلا بدَّ من الإيمان به أولاً ومن ثم الوصول إليه.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

الهوامش:

(١) الأحزاب السياسية، موريس دوزجيه، ص ٢٦٢ وما بعدها.
(٢) المرجع نفسه، ص ٢٧٠.
(٣) المائدة/ ٥٥ ـ ٥٦. المجادلة/ ٢٢.
(٤) كما سنراه ظاهراً في نصوص الآيات المشار إليها، وسنستعرضها في الفقرة اللاحقة، وانظر أيضاً: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣/ ٤٦.
(٥) المصدر نفسه، ٤/ ٤٦.
(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٧٦٦.
(٧) المرجع نفسه، ص ٤٠ و٨٢ و٣١٦.
(٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤/ ٤٧.
(٩) تفسير الجلالين، ص ٢٩٣.
(١٠) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي، ٣ ـ ٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٧، الأمثل في تفسير البيان المنزل، ٤/ ٤٥ ـ ٥٧، الميزان في تفسير القرآن ٥ ـ ٦/ ٥ ـ ٢٥ وتفاسير أخرى عديدة.
(١١) انظر: عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفّر. وروح التشيّع للشيخ عبدالله نعمة.
(١٢) حديث «الأئمة من قريش» مضموناً رواه البخاري ومسلم والترمذي، كما ورد في كتاب الحديث «التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول» ٣/ ٣٩ ـ ٤٠.
(١٣) إنتفَضَ أهل المدينة المنوّرة على يزيد بن معاوية وطردوا عامله على المدينة، وكان على رأسهم عبدالله ابن الصحابي حنظلة غسيل الملائكة، وثُلّة من أبناء الصحابة منهم المنذر بن الزبير. قال عبدالله بن حنظلة: «والله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء. إنه رجل ينكح أُمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة». وقال المنذر بن الزبير: «والله إنّه ليشرب الخمر، وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة». فهاجمهم يزيد بجيش كثيف غزاهم في المدينة المنورة فاقتحمها عليهم بعد قتال عنيف، ثم أستباحها ثلاثة أيام. فبقيت جنده فيها يستبيحون النساء ويقتلون الرجال، حتى لم يبقَ أحد من الصحابة الذين شهدوا بدراً إلا قتلوه، وانتهكوا حرمة أكثر من ألف بنت باكر من بنات الصحابة، ثم أخذوا البيعة ممن بقي حياً على أن يكون عبداً قِنّاً ليزيد بن معاوية، وإذا قال: أبايع على كتاب الله وسنة رسوله، ضربوا عنقه»!.
راجع في ذلك: تاريخ الطبري: ٥/ ٤٨٠ ـ ٤٨٣، ٤٨٥ ـ ٤٨٧، ٤٩٣ ـ ٤٩٥ أحداث سنة ٦٣.
المنتظم لأبي الفرج بن الجوزي: ٦/ ١٢ ـ ١٦.
تاريخ الإسلام للذهبي: ٥/ ٢٣ ـ ٢٨.
البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٠ ـ ٢٤٢.
تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٩٥.

(١٤) أُنظر: الأحكام السُّلطانية، للفرّاء، ٢٠/ ٢٢ ـ ١٢٣.
(١٥) مسند الإمام أحمد. ٥/ ٢٥، خصائص أمير المؤمنين، للنسائي، ص ٦٤، المستدرك للحاكم، ٣/ ٣٤.
(١٦) سنن الترمذي، ٥/ ٢٩٦، الحديث رقم ٣٧٩٦، التاج الجامع للأصول، ٤/ ٣٣٥، كنز العمال ١٥/ ١٢٤.
(١٧) مسند الإمام أحمد ٢/ ٣٤٨، وأخرجه الطبراني في المستدرك والترمذي، التاج الجامع للأصول، ٤/ ٣٣٦. والمستدرك، للحاكم وكنز العمال، ٦/ ٢٩٨.
(١٨) كنز العمال، ٦/ ١٥٥، ١٥/ ٩١ ح ٢٥٥، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي، ص ٩٣، تاريخ دمشق لابن عساكر (ترجمة الإمام علي) ٢/ ٤٥ ح٥٤٧.
(١٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٢٩١، ١٩٣.
(٢٠) المرجع نفسه، ص ١٩٢، ١٩٣.
(٢١) المرجع نفسه، ص ٥٨٠.
(٢٢) نفسه، ص ٥٨٢.

* * *

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى